المحاضره السادسه

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

سنقف وقفة مع آية الباب

" باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب "

وهو قول الله عز وجلّ :

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }

وذكرنا أن هذه الآيه عند نزولها علي النبي صلى الله عليه وسلم

وتناقلها الصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم شق ذلك على أصحاب محمد رضي الله عنهم وأرضاهم

فقالو يا رسول الله : أيُنا لم يظلم نفسه

فقال : ليس بذلكم (ليس الظلم الذي تذهبون إليه)

إنما هو الشرك.

ألم تقرأوا قول العبد الصالح :

{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }

ويوجد تفسير للنبي بأن الظلم في هذه الآيه هو الشرك .

قول الشيخ :

عندما رأى الصحابه هذه الآيه ووضعها من إثبات الإيمان بشريطة عدم اللبس بالظلم

والجائزه الأمن والاهتداء في الدنيا والآخره وخصوصاً الآخره

فشعروا بأنهم خارج ما يؤول إليه تفسير الآيه لأنه لن يتحصل أن يكون من أهل الأمن

وأهل الاهتداء إلا من آمن ولم يخلط إيمانه بظلم .

والإشكال الثاني للصحابه أنهم رأوا كلمة ظلم في هذا السياق نكره وهذا سياق نفي

والقاعده تقول :

النكره في سياق النفي تفيد العموم (المقصود به عموم الظلم أي كبيره وصغيره)

فهنا الآيه كأنها تقول :

الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بكبير الظلم ولا بصغيره هؤلاء دون غيرهم لهم الأمن وهم مهتدون .

فبَيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا العموم وإن كانت تفيده قواعد العربيه التي يفهمها أصحابها رضي الله عنهم وأرضاهم أنه ليس علي بابه

(أي أنه لفظ عام ليس على باب العام)

وهذا معناه أن الإنسان يتكلم باللفظ العام لا يريد معناه

وعلى هذا نزل القرآن يتكلم باللفظ العام ولا يريد معناه .

ففي الآيه تدل كلمة (بظلم) علي أي ظلم ولكن المعنى ليس كذلك

المعني ← ظلم مخصوص

فهذا يُعَد من جملة العام الذي أُريدَ به الخصوص

فتفسير النبي وهو المقصود في الآيه ← هوخصوص الظلم (الكبير) وليس العموم

وكبير الظلم في هذا الباب هو الشرك ولذلك النبي فسرها بالآيه الأخرى

{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }

إذاً يكون الشرك الأكبر إتخاذ الآله من دون الله هو ظلمٌ عظيم

لذلك عند نزول الآيه شق ذلك على أصحاب رسول الله لحملهم العام على ظاهره

وهذا هو الإشكال الذي حدث معهم .

وفي الآيه كلمة (آمنوا) تدل على الذين تحصلوا أصل الإيمان

والظلم ← هو الشرك الأكبر

لأن الذي ينافي الشرك الأكبر هو أصل الإيمان وهو الحد الأدنى من الإيمان لكي لا يكون الإنسان كافر ولا مشرك بالله آلهةً أُخرى .

والذي ينافي الشرك الأصغر كمال الإيمان الواجب .

إذاً يكون الكلام في الآيه على أصل الإيمان (أي الشخص الذي أسلم ونطق الشهادتين

وهدروا كل دين باطل غير الإسلام واعتقدوا الإسلام جملة) .

ويكون <u>الأمن</u> في الآيه هو ← <u>أصل الإيمان</u> (إلا أن يتفضل الله عز وجلَّ عليك)

والإهتداء ← هو أصل الاهتداء

وهذا يعني أنه يأمن من عذاب النار يوماً و إن دخلها أي لا يخلد في النار .

إذاً أصل الإيمان = عدم الخلود في النار (بشرط إن دخلها)

وأصل الاهتداء = دخول الجنه ولو مآلاً

ويكون الكلام كالتالي :

الذي أسلم ومات مسلماًولم يشرك بالله شيئاً سيدخل الجنه لا محاله ولو عُذِب في النار

قدر ما عُذِب إذاً لا يُخلد ويدخل الجنه ولو مآلاً .

وسننظر في تفسير آخر مروي عن الصحابه على رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول :

أن الظلم في الآيه يقصد به (عموم الظلم)ويكون المقصود بالكلام (الأصغر)

وبذلك يكون (الذين آمنوا) الإيمان الكامل كمالاً واجباً

ويكون الكلام كالتالي :

الذين آمنوا الإيمان الكامل كمالاً واجباً ولم يخلطوا إيمانهم بأي ظلمٍ ولو أصغر

(أي لم يضيعوا فريضه ولم يرتكبوا كبيره) أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

ويكون الأمن ←هو كمال الأمن (أي يدخلون الجنه لأول وهله) أي بغير حساب ولا عذاب .
والاهتداء كذلك .

إذاً اللفظ يشمل هذا وذاك يشمل أصل الإيمان وكماله ، وهذا يشمل أصل الكفر وفروعه

ويشمل أصل الأمن وكماله وأصل الاهتداء وكماله على حسب التوجيه

(الأصل مع الأصل والكمال مع الكمال)

لكن الإشكال عند الصحابه أنهم حملوا عموم الظلم مع أصل الأمن

فقام النبي صلى الله عليه وسلم بحل الإشكال بقوله :

في حالة وجود أصل الظلم يكون أصل الإيمان موجود

أي لم يلبسوا إيمانهم بأصل الظلم الأكبر يكون أصل الأمن موجود

والإشكال عند الصحابه أنه لا يرد على الجنة أصلاً فنفى النبيُ ذلك بقوله.

وعمر رضي الله عنه قال أن هناك صورة أخرى صحيحه أيضاً وهي :

في حالة وجود عموم الظلم يكون المنفي هنا الظلم الأصغر (أي الشرك الأصغر والذنوب والكبائر) وترك الفرائض ويكون الأمن هنا أنه لا يدخل النار أبداً ولا يمر عليها .

واستشهد الشيخ بقول الله :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)

وهذا وجهين التفسير

وسنرى كلام شيخ الإسلام ابن تيميه في هذا الكلام .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وطيب ثراه :-

والذي شق عليهم أنهم ظنوا أن الظلم المشروط عدمه هو ظلم العبدِ نفسه (أي عموم الظلم)

وأنه لا أمن ولا إهتداء أبداً إلا لمن لم يظلم نفسه

فبَيَّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما دلهم على أن الشرك ظلمٌ في كتاب الله

فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم

فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء ، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى :-

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

وهذا لا ينفي أن يؤآخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب منه

كما قال تعالى :-

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

وقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أرضاه النبيَ فقال يا رسول الله أيُنا لم يعمل سوءاً

فقال يا أبا بكر ألست تنصب (أي يصيبك التعب) ألست تحزن أليس يصيبك اللأواء (المشقه والجهد في معالجة أمور الحياه) فذلك ما تجزون به ، فبَيَّن أن المؤمن إذا مات دخل الجنه قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب فمن سَلِمَ من أجناس الظلم الثلاثه (الشرك – ظلم العباد – ظلمه لنفسه بما دون الشرك)

كان له الأمن التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء المطلق

بمعني أنه لابد أن يدخل الجنه كما وُعِدَ بذلك في الآية الأخرى

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}

" كلهم في الجنه ولكن دفعات "

وقد هداه الله إلي الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه الجنه ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم من قوله إنما هو الشرك أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيره

مع نصوص القرآن تُبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف في الأخره ولم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام الذي يكونون بها مهتدين إلي الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من غير عذابٍ يحصل لهم (ليس كذلك) بل معهم أصل الاهتداء إلي هذا الصراط (ألا وهو أصل الإيمان) ومعهم أصل نعمة الله عليهم (وهي الإسلام) ولابد لهم من دخول الجنه

وقوله إنما هو الشرك إن أراد الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وُعِدَ به المشركون من عذاب الدنيا والأخره وإن كان مراده جنس الشرك (أي الأكبر والأصغر) ظلم العبد لنفسه

مثــال :-

كبُخله لحب المال ببُغض الواجب (لا يريد إخراج الزكاه) وهو شركٌ أصغر
فلضغف إيمانه ضَعُفَ حبه لشريعة الله فأبغض بعضاً مما أنزله الله مما فرضه الله عليه فكان فيه حصه من الظلم لنفسه .

وحبه لما يبغضه الله حتي يقدم هواه علي محبة الله شركٌ أصغر (وهذا من جنس عبادة ِالهوى) فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يُدخِلون الذنوب في هذا الشرك (الشرك العام) بهذا الاعتبار .

قال ابن القيم رحمه الله :-

قوله تعالي :

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }

قال الصحابه يا رسول الله وأيُنا لم يُلبِس إيمانه بظلم ، قال النبي ذلك الشرك

ألم تسمعوا قول العبد الصالح " إن الشرك لظلمٌ عظيم "

قالـ لما أُشكِلَ عليهم المراد بالظلم فظنوا أن ظلم النفس داخلٌ فيه وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لم يكن آمناً ولا مهتدياً ،

أجابهم صلوات الله عليه وسلامه بأن الظلم الواقع للأمن والهدايه على الإطلاق هو الشرك وهذا والله هو الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العباده في غير وضعها والأمن والهدى المطلق هو الالأمن في الدنيا والآخره والهدى إلي الصراط المستقيم .

فالظلم المطلق التام رافعٌ للأمن والاهتداء المطلق التام ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعاً من مطلق الأمن ومطلق الاهتداء فتأمله .

فالمطلق للمطلق والحصةُ للحصه . أ.هـ

ملحوظه :-

مطلق الشئ ← أصله (أقل ما يقال)

الشئ المطلق ← التام الكامل

وعن عبادةُ بن الصامت بنِ قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد أحد النقباء بدريٌ مشهور مات بالرَمَلَه (بلاد فلسطين) سنة 34 هـ وله 72 سنه وقيل عاش إلي خلافةِ معاويه بن أبي سفيان .

قوله من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدُ الله ورسوله وأن الجنةَ حقٌ وأن النار حقٌ أدخله الله الجنه على ما كان عليه من العمل

شرح الحديث :-

قوله من شهد أن لا إله إلا الله ← أي من تكلم بها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما

كما قال تعالى :

" فاعلم أنه لا إله إلا الله "

وقوله تعالى :

" إلا من شهد بالحق وهم يعلمون "

وأما النطق بها من غير معرفةٍ لمعناها ولا يقينٍ ولا عملٍ بما تقتضيه من البراءةِ من الشرك وإخلاص القول والعمل (قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح) فغيرَ نافعٍ بالإجماع واستشهد الشيخ بالأبيات :

فإنه لا ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول والانقياد فادرِ ما أقول

لأن هناك من يقول لا إله إلا الله نفاقاً ولديه بذلك أحكام الإسلام وعُصِمَ بها دمه وماله وعِرضه حتى و إن كان رأس المنافقين

مثال :- (عبدُ الله بنُ أُبي بنِ سلول)

ولكن في النفع الأُخروي لكي تنتفع بها إلى الله لابد أن تتكلم بها لشهود القلب لمعناها

ويقول الشيخ حكمي رحمه الله :-

وقد حَوَته لفظةُ الشهادةْ فهْيَ سبيلُ الفوز والسعادةْ

مَن قالها معتقِدًا معناها وكان عاملا بمقتضاها

في القول والفعل ومات مؤمنًا يُبعثُ يومَ الحشرِ ناجٍ آمنًا

فإنَّ معناها الذي عليهِ دلَّتْ يقينًا وهَدَتْ إليهِ

أنْ ليس بالحق إلهٌ يُعبدُ إلا الإلهُ الواحدُ المنفردُ

بالخلقِ والرزق وبالتدبيرِ جَلَّ عن الشريك والنظيرِ

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيدتْ وفي نصوص الوحي حقًّا وَرَدتْ

فإنه لم ينتفِعْ قائلُها بالنطق إلا حيثُ يستكملُها

العلمُ واليقينُ والقبولُ والانقيادُ فادرِ ما أقولُ

والصدقُ والإخلاصُ والمحبةْ وفقك الله لما أحبهْ

فيقول هنا أما النطق بها من غير معرفة لمعناها فغيرُ نافع ، وأما النطق بها من غير يقينِ ولا عمل فغيرُ نافع ،و أما النطق بها من غير براءةٍ من الشرك فغيرُ نافعٍ ، و أما النطق بها من غير إخلاص القول والعمل فغيرُ نافعٍ (وهذا في الآخره)

وهل المراد هنا بمعرفة المعنى المعرفه الإجماليه (شرط الإنتفاع في الآخره) أم التفصيليه (شرط اللإنتفاع في الآخرةِ أيضاً)

الشرط ما يلزم من عدمه العدم .

أي في حالة عدم وجوده بالتفصيل تكون النتيجه صفر والمقصود هنا في الشرط المطلوب في العلم للإنتفاع الأخروي هو العلم الإجمالي لأن العلم الإجمالي هو الذي يفرق بين من

يقول كلام فاهم معناه وبين أخر لا يفهم ما يقول .

فهذا لا يثبُت به حكم الإسلام للعبد لا في الدنيا ولا في الأخره بمعنى أنه لا يُسلِم بها في الدنيا ولا ينتفع بها في الآخره والذي يؤكد هذا الكلام أن العرب الكبار كانوا يجهلون بعض تفاصيل معني الكلمه منهم عَدي بنُ حاتم الطائي وهو عربيٌ فصيح

وقصتهُ كالتالي :

لما شهد الشهادتين بعدما أرسل النبى في طلبه دخل علي النبى وهو يرتدي الصليب وكان نصرانياً في الجاهليه وكان كبير قومه فعندما غزا النبى صلى الله عليه وسلم قومَه هرب في البحر فأرسل النبي في طلبه فأتوا به فدعاه النبي للإسلام فأسلم ،

فقال له فيما قال يا عدي ما يفِرُك ؟ أيفِرُكَ أن تقول الله أكبر؟

أوَ تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ قال لا ، قال فما يفِرُك ؟ أيفِرُك أن تشهد أن لا إله إلا الله ؟ أوَ تعلم إلهاً غير الله ؟ قال لا ، فأسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إعلم أن اليهود مغضوبٌ عليهم والنصارى ضالون ، قال صدقت ! فسمع قول الله عز وجل في اليهودِ والنصارى " إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم "

قال يا رسول الله إنا لم نكن نعبدهم (وهذا يدل علي عدم فهمه للآيه) لأن الآيه تتكلم في حكم التشريع وليس في حكم الركوع والسجود، فهو يفهم أن الرب هو المعبود وهذا معنى خاطىء ، فصحح له النبي إسلامه على ذلك،

فبَيَّن له معناً في العباده أوسع مما يعلمه وهو عربيٌ فصيح ،

فقال : ألم يكونوا يُحلوا لكم الحرام فتطيعوهم ؟ قال بلى ،

قال : ألم يكونوا يحرموا عليكم الحلال فتطيعوهم ؟ قال بلى ،

فقال له النبي تلك عبادتهم (وهذه هي الربوبيه)

وأما النطق بها من غير معرفةٍ لمعناها ولا يقينٍ ولا عملٍ بما تقتضيه من البراءةِ من الشرك وإخلاص القول والعمل (قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح) فغيرَ نافعٍ بالإجماع .

ونقول في قول الشيخ حكمي في البيت القائل :

فإنه لا ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

أن الإنتفاع أصلٌ وكمال ← أصل الإنتفاع هو أصل الأمن وأصل الاهتداء وثبوت حكم الإسلام في الدنيا ، وكمال الاهتداء أنه يترقى في مراتب الإيمان في الدنيا ويكون من أهل النجاة لأولِ وهلةٍ .

س/ ما الذي تقتضيه لا إله إلا الله في باب البراءةِ من الشرك ؟

ج/ الكفر بكل ما يُعبد من دون الله والإيمان بالله وحده .

قال القرطبي رحمه الله في كتابه المُفهم على شرح صحيح الإمام مسلم رحمه الله " بابٌ لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين "

قـال :

بل لابد من إستيقان القلب هذه الترجمه تنبيهٌ على فسادِ مذهب غُلاة المُرجئةِ القائلينَ

بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان (الايمان الكامل عندهم لأن عندهم أصل الإيمان لا يزيد ولا ينقص) وأحاديثُ هذا الباب تدلُ علي فساده (وهو مذهب المُرجئه)

بل هو مذهبٌ معلومُ الفسادِ من الشريعه لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافقين بالإيمان الصحيح وهو باطل .

قال وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قوله (من شَهِدَ)

فإن الشهاده لا تصح إلا إذا كانت عن علمٍ ويقينٍ وإخلاصٍ وصدق .

قال النووي رحمه الله تعالى وطيب ثراه :

هذا حديثٌ عظيمٌ جليلُ الموقع وهو من أجمع الأحاديث المشتمله على العقائد فإنه جمع فيه ما يُخرِج من ملل الكفر على إختلافِ عقائدهم وتباعدهم ،
فاقتصر في هذه الأحرف على ما يُباين جميعهم (وهو من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنةَ حقٌ وأن النار حقٌ أدخله الله الجنه)

قال ومعني لا إله إلا الله ← أي لا معبودَ بحقٍ إلا الله وهو في غير موضعٍ من القرآن

ويأتيك في قول البِقاعي رحمه الله صريحاً : قوله " وحده " تأكيدٌ للإثبات

" لا شريك " تأكيدٌ للنفي

قال الحافظ بن حجر رحمه الله :

كما قال تعالى :

" وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم "

وقال :

" وما أرسلنا قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "

وقالــ تعالى :

" وإلى عادٍ أخاهم هوداً قالــ يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٌ غيره "

فأجابوه رداً عليه بقولهم :

{ أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }

وقالــ تعالى :

{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }

فتضمنَ ذلك نفي الأُلوهيه عن ما سوى الله (هي العباده)

وإثباتها لله وحده لا شريك له والقرآن من أوله وآخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه .

الخلاصه :

أن العباده بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً وهذا كله لا يستحقه إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدمَ في أدلةِ هذا الباب وما قبله فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعل لله نداً فلا ينفعه مع ذلك قولٌ ولا عمل .